الدور السياسي والعسكري لأسرة أيوب بن العباس في المغرب الأدنى

(١٧١-٣٠٠هـ/٧٨٧-٩١٢م)

دكتور

إبراهيم فرغل محمد

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

الملخـــــــص

شهد المغرب الإسلامي في بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، تطورات سياسية واجتماعيـــة وثقافيـــة، أثرت في مسار المجتمع الإسلامي بشكل واضح في مختلف جوانب الحياة، وقد تمثلت تلك التطورات في انتشار المذاهب الخارجية وقيام دول مستقلة، وفي ظل تلك الظروف ظهرت أســـرة قامـــت بـــدور سياسي وعسكري مهم، وهي أسرة الوالي أيوب بن العبـــاس التـــي كانت الساعد الأيمن للأئمة الإباضيين بالمغرب، وذلك في الجهـــات الشرقية للدولة، وبخاصة في طرابلس الغرب وجبل نفوسة.

وقد وقع الاختيار علي هذا الموضوع لأنه جديدا علـــي ســـاحة الدراسات التاريخية، ولا يهدف فقط إلي تتبع أخبار هذه الأسرة ذات النفوذ الواسع في تاريخ الإباضيين بالمغرب، وإنما يهدف أيضا إلي إبراز المكانة السياسية والعسكرية لهذه الأسرة وجهودها في الـــدفاع عن الجبهة الشرقية للإباضيين في المغرب، وبيـــان أثـــر الأحـــداث التاريخية في تغير المجري السياسي والتأثير علي أوضـــاع الســـلم والحرب. كما أن هذا الموضوع يمثل حلقة من أهم حلقات التـــاريخ الإسلامي في المغرب العربي، والتي برز فيها التفاعل الحضـــاري والرقي الاجتماعي، لقد كانت هذه الأسرة تمثل أهـــم مظهـــر مـــن مظاهر التطور السياسي والاجتماعي ، وكان دورها يبـــرز بشـــكل

فعال في أحداث الثورات وحركات التمرد والحملات العسكرية ضد حكم الإباضيين في الجهات الشرقية من الغرب الإسلامي، وقامت بحق في الدفاع عن الإباضيين لتمكينهم من السيطرة علي أملاكهم ومواجهة أعدائهم، ولاشك أن هذه الأسرة تولت القيادة في حقبة مهمة من حقب التاريخ الإسلامي بكل معطياتها وظروفها الاستثنائية، وكانت مخلصة كل الإخلاص في أداء مهامها.

وتتضح أهمية الموضوع من خلال الدور الذي شغله ثلاثة ولاه من أفرادها ، وهم:

أيوب بن العباس وابنه العباس وحفيده أفلح بن العباس ، وذلك في الفترة من سنة (١٧١-٣٠٠هـ/٧٨٧-٩١٢م).

الكلمات مفتاحية: أسرة أيوب بن العباس- المغرب الأدنى - السياسي- العسكري

دكتور
إبراهيم فرغل محمد
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية .
ifm00@fayoum.edu.eg

Abstract

The Islamic Maghreb witnessed at the beginning of the second half of the second Hijri / eighth century AD, political, social and cultural developments that clearly affected the course of the Islamic community in various aspects of life, and these developments were represented in the spread of external sects and the establishment of independent states.

And under those circumstances a family emerged which played an important political and military role, namely the family of the ruler Ayoub bin al-Abbas. This ruler was the right-hand man for the Ibadi imams in Morocco, in the eastern regions of the state, especially in western Tripoli and Mount Nafusa.

This topic has been chosen because it is new to the field of historical studies, and it does not only aim to track news of this family with wide influence in the history of the Ibadis in Morocco, but also aims to highlight the political and military position of this family and its efforts in defending the Eastern Front of the Ibadis in Morocco that revealed the impact of historical events in changing the political course which affected the peace and war situations.

Also, this topic represents one of the most important episodes of Islamic history in the Maghreb, in which civilization interactions and social progress emerged. This family was the most important aspect of political and social development. Its role was effectively prominent in the events of revolutions, rebellions and military campaigns against the rule of the Ibadis in the eastern regions of the Islamic West, and they have in fact defended the Ibadis to enable them to control their properties and confront their enemies.

And there is no doubt that this family assumed the leadership in an important period of Islamic history with all its efforts and exceptional circumstances and was sincere in the performance of its duties.

The importance of the issue is evidenced by the role occupied by three of its members, who are:- Ayoub bin Al-Abbas, his son Al-Abbas and his grandson, Aflah bin Al-Abbas, during the period from the year (171-300 A.H. / 787-912 A.D.).

Keywords : Ayoub bin Abbas family - Near Maghreb political - military

Dr.

Ibrahim mohamed

Civilization, Department of History and Islamic

Faculty of Dar al-Ulum, Fayoum University,Egypt.

ifm00@fayoum.edu.eg

مقدمـــــة

شهد المغرب الإسلامي في بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، تطورات سياسية واجتماعيـــة وثقافيـــة، أثرت في مسار المجتمع الإسلامي بشكل واضح في مختلف جوانب الحياة، وقد تمثلت تلك التطورات في انتشار المذاهب الخارجية وقيام دول مستقلة، وفي ظل تلك الظروف ظهرت أســـرة قامـــت بـــدور سياسي وعسكري مهم، وهي أسرة الوالي أيوب بن العبـــاس التـــي كانت الساعد الأيمن للأئمة الإباضيين بالمغرب، وذلك في الجهـــات الشرقية للدولة، وبخاصة في طرابلس الغرب وجبل نفوسة، ومن هنا اخترت عنوان هذا البحث وهو " الدور السياسي والعسكري لأســـرة أيوب بن العباس في المغرب الأدني "

(١٧١-٣٠٠هـــ/٧٨٧-٩١٢م).

وقد وقع الاختيار علي هذا الموضوع لأنه جديدا علـــي ســـاحة الدراسات التاريخية، ولا يهدف فقط إلي تتبع أخبار هذه الأسرة ذات النفوذ الواسع في تاريخ الإباضيين بالمغرب، وإنما يهدف أيضا إلي إبراز المكانة السياسية والعسكرية لهذه الأسرة وجهودها في الـــدفاع عن الجبهة الشرقية للإباضيين في المغرب، وبيـــان أثـــر الأحـــداث التاريخية في تغير المجري السياسي والتأثير علي أوضـــاع الســـلم والحرب.

كما أن هذا الموضوع يمثل حلقة مـــن أهـــم حلقـــات التـــاريخ الإسلامي في المغرب العربي، والتي برز فيها التفاعل الحضـــاري والرقي الاجتماعي، لقد كانت هذه الأسرة تمثل أهـــم مظهـــر مـــن

مظاهر التطور السياسي والاجتماعي ، وكان دورها يبرز بشكل فعال في أحداث الثورات وحركات التمرد والحملات العسكرية ضد حكم الإباضيين في الجهات الشرقية من الغرب الإسلامي.

وقامت بحق في الدفاع عن الإباضيين لتمكينهم من السيطرة علي أملاكهم ومواجهة أعدائهم، ولاشك أن هذه الأسرة تولت القيادة في حقبة مهمة من حقب التاريخ الإسلامي بكل معطياتها وظروفها الاستثنائية، وكانت مخلصة كل الإخلاص في أداء مهامها.

وتتضح أهمية الموضوع من خلال الدور الذي شغله ثلاثة ولاه من أفرادها وهم: أيوب بن العباس وابنه العباس وحفيده أفلح بن العباس، وذلك في الفترة من سنة (١٧١-٣٠٠هـ/٧٨٧-٩١٢م).

التعريف بأسرة أيوب بن العباس:

اعتمد الإباضيون[١] في بلاد المغرب علي قادة وأئمة ينتمون إلي مذهبهم ويدافعون عن حقوقهم وأملاكهم،

(١) الإباضية: الإباضية فرقة من الخوارج تنتسب إلى عبد الله بن أباض التميمي الذي خرج في أيام مروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية) وهذه الفرقة لها عقيدتها ومبادئها الخاصة بها، أما علماء الإباضية فيرون أن مؤسس فقههم ومذهبهم هو جابر بن زيد ولكن عبد الله في نظرهم هو أحد الأئمة الثانويين اللذين كانوا يتلقون تعليماتهم عن جابر وانتسب الإباضية إلي عبد الله لأنه كان المجاهد والمناضل علنا والمدافع عن المذهب الإباضي انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ط القاهرة ١٩٥٦ م، ج١ ص١٣٤-١٣٦ /الزركلي: الأعلام ط ١٥ج٢ ص١٠٤/ فرحات الجعبيري: دور مدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، ط دار=

ويساعدونهم علي قمع الفتن الداخلية والغزوات الخارجية، ويعاونون الأئمة الإباضيين في إدارة البلاد.

ومن الأسر التي قامت بدور مهم وكبير في الدفاع عن الإباضيين في بلاد المغرب، أسرة أيوب بن العباس، فقد نجحت هذه الأسرة في التصدي لحركات التمرد والعصيان وكذلك الهجمات علي ممالك الإباضيين ، وبخاصة في الجهات الشرقية لبلاد المغرب، وذلك فضلا عن مساندتهم للأئمة الإباضيين في كل الأمور، ولم يقتصر دور هذه الأسرة فقط علي النواحي السياسية، بل برزوا أيضا في النواحي العسكرية ، وفي مقدمة هذه الأسرة الوالي أيوب بن العباس، وقد كان واليا في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثم يأتي من بعده ابنه العباس بن أيوب، الذي كان واليا في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وجاء بعد ذلك حفيده أفلح بن العباس، الذي تولي في عهد الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح.

ولاية أيوب بن عباس على طرابلس الغرب (١٧١-٢٠٨ هـ /٧٨٧-٨٢٣م)

هو أبو الحسن أيوب بن العباس، من مشايخ تين دوزيغ بجبل نفوسة[١]، تلقّى العلم به على يد العلاّمة عاصم السدراتي، أحدِ حملة

=الجويني د.ت ص٩/ محمد غزالي: النشاط الفكري للمذاهب غير السنية في بلاد المغرب الإسلامي، رسالة دكتوراه، الجزائر،٢٠١٦م ص٥٩.

(١) جبل نفوسة: من الجبال المهمة في بلاد المغرب، كانت تسكنه قبيلة نفوسة، وقد افتتح عمرو بن العاص نفوسة وكانوا نصارى، ومن هذا الجبل رجع عمرو بن العاص بكتاب ورد عليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان دار إحياء التراث

العلم الخمسة عن أبي عبيدة بالبصرة إلى المغرب، كان بالإضافة إلى مقامه في العلم مبرّزا في الشجاعة وفنون الحرب، فلمّا تمرّدت الواصلية المعتزلة على الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرحمن (١٧١-٢٠٨هـ/٧٨٧-٨٢٣م)[١] استغاث هذا الإمام بأهل نفوسة فأغاثوه بأربعة رجال يساوون في قوّتهم وعلمهم أربعمائة رجل، وكان من بينهم أيّوب بن العبّاس، الذي قام بالدور الأكبر في القضاء على المتمرّدين عسكريًّا بعد استنكافهم عن الإذعان للحجّة العلمية ومنطق الحكمة والسياسة[٢]

ولاّه الإمام عبد الوهّاب على جبل نفوسة بعد وفاة السمح بن أبي الخطّاب، وإثر فتنة خلف بن السمح الذي قفز إلى منصب ولاية نفوسة بدون اذن إمامه، تمكّن أيّوب بن العبّاس من القضاء على

العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ج٨، ص ٣٩٧، وعبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ط الرباط ١٩٦٨ م،ج٣، ص ٢٠٤.

Basset , Rene: Les Sanctuaires du Djebel Nefousa . Jurnal Asiatique , Tome 13,14 .Paris 1899 , Paris 1899, p. 426..

Despois, Jean: Le Djebel Nefusa , Paris ,1, p. 137.

(١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبى زكريا ت اسماعيل العربى، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٨٩٢م، ص١٠٥-١٠٦، ١٠٩، ١١٣، ١٢٠/ الدرجيني: طبقات الإباضية، ت. إبراهيم طلاي، قسنطينة(د.ت)،ج١ص ٦٠-٦٣،٧٦/ الشمّاخي: السير، ط دار المدار الإسلامي، ج١ص١٤٥

(٢) محمد علي دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، القاهرة ١٩٦٣م، ص٣٦٥-٣٦٦ /علي يحيي معمّر: الإباضية في موكب التاريخ، ص٤٢،٤، ١٢٦ / إبراهيم بحّاز: الدولة الرستميّة، ص٢٨٤، ٣٣٦.

هذه الفتنة بقوّته، وكسب حبَّ الناس من رعيته بتواضعه وعدله وحسن سيرته، وتوفي بعد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م[١]

ولأيُّوب ابنٌ نشأ على طريقة أبيه علماً وشجاعة واستقامة، تولّى هو الآخر ولاية نفوسة على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهّاب (حكم:٢٠٨-٢٥٨هـ/٨٢٣-٨٧١م)، وهو العبّاس بن أيوب بن العبّاس، وبعد وفاته تولّى عبد الحميد الجنّاوني الإمارة[٢]

وقد وصفت المصادر الإباضية أيوب بن عباس بأنه كان رجلا تقيا ورعا، فهلل المسلمون لولايته، وبخاصة لأنه كان يتمتع بشخصية قوية، فقد وصفه المؤرخ الشماخى بقوله: " ومنهم – أى علماء المغرب – أيوب بن عباس النفوسى، من أهل التقى والصلاح والاشتهار في طرق الخير وسبل الرشاد، وكان الغاية في الشجاعة، وقيل إنه قال: " لا أعلم من فاس إلى مصر فارسا يبارزنى"، وله أخبار في الشجاعة وسير في الحروب ومعرفة فرائسها ومزاولتها"[٣] وكان ذا بأس وشدة وشجاعة هابه الخلفية وكان ذا عدل واستقامة، وقد جاء اختيار أيوب في الوقت المناسب نظرا

(١) إبراهيم بحّاز: الدولة الرستميّة، ٢٨٤، ٣٣٦ / د. محمد عيسي الحريري: الدولة الرستمية، بالمغرب الإسلامى ط ٣ دار العلم، الكويت ١٩٨٧م، ص١٣٧

(٢) أبو زكرياء: السيرة، ص١٠٥-١٠٦، ١٠٩، ١١٣، ١٢٠/ الدرجيني: طبقات الإباضية،ج ١ ص٦٠-٦٣، ٧٦

(٣) الشماخي: السير، ص٢٩٤

لظهور حركات التمرد علي الإباضـــــيين، مثل حركة الواصلـــــية وحركة خلف بن السمح.

جهود أيوب بن العباس في مقاومة الواصلية:

بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم(١) وتولية ابنه عبد الوهاب الإمامة الرستمية، انتهزت فرقة الواصـــلية(٢) وقـــوع الفرقـــة بـــين الإباضية بعضهم بعضا حول اختيار الإمام الجديد.

---

(١) عبد الرحمن بن رستم الفارسي: من مسلمي الفتح، نجح في تأسيس الدولة الرستمية بإقليم تاهرت في المغرب الأوسط بعد أن بايعته القبائل لعلمه وفضله على أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين، وقد بدأت الدولة بإمامة إسلامية انتخابية ثم تحولت إلى ملكية وراثية، انظر: د. محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ص ١٤٩- ١٥٦، وعمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ترجمة ميخائيل خوري، و د. ماهر جرار ومراجعة محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م، ص ١١٣، ١١٤، و د. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، ط٢، المغرب، ١٩٨٥م، ص ١٤٤، وعلي يحيي معمر: الإباضية في الجزائر، مكتبة وهةة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٦، ٥٧.

(٢) الواصلية: إحدى فرق المعتزلة ورئيسها واصل بن عطاء الذي اعتزل الحسن البصري عندما قال بالمنزلة بين المنزلتين، وأن الفاسق في الإسلام لا هو مؤمن ولا هو كافر وكان أغلب المعتزلة الواصلية في الدولة الرستمية من قبيلة زناته الذين كانوا يسكنون الخيام وينتجعون المراعي، وقد نال الواصلة الحرية تحت رعاية الرستميين. كما تمتعت بها الفرق الإسلامية الأخرى كالمالكية والصفرية، انظر: البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٤٠- ٤١/ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ت، د. ى . سلين، الجزائر ١٨٧٧م، ص٦٧/ محمد علي دبوز: المغرب الكبير، ج٣، ص٤٧٩- ٤٨١/ عبد الرحمن سالم: التاريخ

وكان أشدهم خلافا، فرقة النكار[1] التي كان لها أثر كبير في شق عصا الطاعة وتأسي الواصلية

=السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٥٣.

(١) النكار: ظهرت هذه الفرقة عندما أحس عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله فجعل الإمامة شورى من بعده في سبعة نفر. تأسيا بعمر بن الخطاب – رضي الله عنه– فكان منهم ابنه عبد الوهاب. وذلك بدءا من عام ١٧١هـ/ ٧٨٧م، وسميت هذه الفرقة بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم. في حين سمي مؤيديه بالوهابية وهو جمهور الإباضية، ورأس هذه الفتنة النكارية يزيد بن فندين، وكان من ضمن السبعة الذي رشحهم الإمام للإمامة من بعده. مما جعله يعتقد أنه الأكفأ لهذا الأمر دون غيره. ولم يقم ابن فندين بإثارة الفتنة مباشرة بعد تولي عبد الوهاب بن رستم الإمامة بل انتظر طمعا في أن يحظى بالقيام بعمل من الأعمال المهمة، ولما لم يحدث ذلك أثار نزاعا وخلافا من أن إمامة عبد الوهاب باطلة، ومن هنا وقع الخلاف بين إباضية المغرب واقترحوا أن يأخذوا رأي الإباضية في المشرق. فأرسلوا إلى الفقيه الإباضي آنذاك الربيع بن حبيب الذي أجاز بصحة الإمامة، ومع ذلك لم يهدا ابن فندين بل أشعلها حربا ضروسا ضد الإمام استعان على إضرامها بوسائل دينية استغفل فيها فريقا كبيرا من العامة، ولم يستطع الإمام القضاء عليها إلا بعد أن راح ضحيتها ما يقرب من عشرين ألفا من الطرفين على رأسهم ابن فندين، انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص٨٦– ١٠٠. الشماخي: السير. ج١. ص١٣١– ١٣٦/ صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهبا. ص٥٠– ٥١/ مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة القاهرة. ١٩٨٨م، ص٥٠.

بهم[١]، مباهين بكثرتهم وقوة شوكتهم[٢] متطلعين إلى الخروج عن حكم الإمام، اعتقادا منهم أنهم يستطيعون حكم أنفسهم بأنفسهم، كما أن الإمام كان مخالفا لهم في المذهب[٣]

وقد اغتروا بقوتهم وصمموا على الحرب[٤] فتكاتفت كلمة الواصلية واجتمعوا من كل صوب وحدب بالقرب من تاهرت[٥] إلى أن غطت جيوشهم جبال المدينة، ثم دارت الحرب بينهم ما بين الانتصار والهزيمة

وقد لجأ الإمام عبد الوهاب إلي الإباضية بجبل نفوسة لمواجهة هجمات الواصلية، وذلك لأن إباضية جبل نفوسة كانوا يدينون

(١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٥٧، الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص١٦٨.

(٢) الشماخي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

(٣) الباروني: المصدر السابق، ج٢، ص١٦٩.

(٤) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٥٧. الشماخي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

(٥) تاهرت: قاعدة الدولة الرستمية، بناها عبد الرحمن بن رستم، وقد تم تأسيسها سنة ١٦١هـ، وقد أحيطت بسور ضخم يحميها من هجمات الأعداء، وحين اختطها عبد الرحمن كانت في موضع مربع، فقالت البربر نزل تاهرت وتفسيره الدفء لتربيعه، انظر: البكري: المغرب ص٦٦، وياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢ ص٩، واليعقوبي: البلدان ص ١٥٣ .

بطاعة الإمام، ويتفانون في رضائه، فرأى الإمام عبد الوهاب أن يستعين بهم على أعدائه(١)

وكان من بينهم الفارس الشجاع العلامة أيوب بن العباس الذي قال: "لا أعلم من فارس أقوى مني من مصر إلى فاس"(٢)

وقد استطاع أيوب بن العباس الفارس الذي لا يشق له غبار، أحد الرجال الأربعة من جبل نفوسة ، أن يذهل القوم بشجاعته وقوته من خلال مواقفه المتعددة.

فعندما خرج الفارس الواصلي طالبا المبارزة، خرج إليه أيوب بن العباس ، وما هي إلا جولة أو بعض جولة حتى حمل أيوب على خصمه فقتله بسيفه، فتحمست الواصلية وزحفت إلى القتال بعد مقتل

---

(١) الباروني: المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٠.

(٢) فاس: مدينة جليلة، كثيرة العمارة، والمنازل، تقع على الجانب الغربي من نهر فاس، وهي عاصمة إقليم طنجة، كان لموقعها المتوسط أثره في أن تكون مركزًا للنشاط التجاري بين شرق المغرب وغربه وشماله وجنوبه، وقد تم إنشاؤها في عهد دولة الأدارسة العلويين في المغرب الأقصى، انظر: اليعقوبي: البلدان، ص٣٥٨، ط ليدن، ١٨٧٣م، ص٣٥٨، / الإصطخري: المسالك والممالك، ط ليدن، ١٩٣٧م، ص٣٤./ البكري: المغرب، ص١١٨

Terrasse.H: Histoire du Morac, p12-13, Editions atlantides, Paris, 1949.

فارسهم وحاميتهم، وأسفرت المعركة عن هزيمة الواصلية بعد أن صرع معظمهم في ميدان القتال(١).

وقد حاول أنصار فرقة الواصلية الثأر من أيوب بن العباس الذي قضى على رمز شجاعتهم ، الفارس الواصلي المعروف بالشجاعة.(٢)

فقاموا بتدبير محاولة ثانية لاغتياله أثناء تدريب الفتيان، (٣)حيث تكفل أحد فرسانهم بالغدر بأيوب بن العباس، ولكن سرعان ما فطن أيوب إلى ذلك بعد أن تغافل عنه ثم حمل عليه فقتله هو وستة عشر من فرسان الواصلية، وقفل راجعا إلى أصحابه(٤).

وهكذا قام أيوب بن العباس بدور مهم في مقاومة حركة الواصلية ونجح في الدفاع عن الإباضيين في المنطقة الشرقية لهم، مما كان له أثره في تثبيت أقدامهم في بلاد المغرب.

---

(١) أبو زكريا: المصدر السابق، ص١٠٩، الباروني: نفس المصدر، ج٢، ص١٧٧.

(٢) الشماخي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٩، انظر أيضا: علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢، ق١، ص٨٥.

(٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٦٣.

(٤) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص١٧٩.

دور أيوب بن العباس في مقاومة حركة خلف بن السمح

كان خلف بن السمح بن أبى الخطاب عبد الأعلى المعافرى قد قام[١] بثورة وحركة وتمرد وانفصال عن الدولة الرستميه، و اتخذت حركته طابعا دينيا واستفحل خطرها، وذلك في الجبهة الشرقية من الدولة الرستمية، وبخاصة في منطقة جبل نفوسة وحيز طرابلس، خلال السنوات الأخيرة من حكم عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وردحا طويلا من عهد ابنه أفلح ، وقد عرف أتباعه بالخلفية منذ أن بايعوا خلفا بالإمامة وأيدوه في الانشقاق عن إمامة تاهرت[٢]،

---

(١) وقد علق الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد على اسم خلف بن السمح بقوله: (ونحن لا ندرى إن كان خلف هو اسمه الحقيقى أم أنه اسم تجريح أطلقه عليه الكتاب من خصومة، كما سيطلقون عليه لقب الخبيث بن الطيب تماما كما فعل أهل السنة بمحمد بن أبى بكر الذى اتهم في مقتل عثمان، وكما فعل كتاب الأمويين بأبان بن عثمان عندما اتهم في فتنة ابن الزبير، انظر: تاريخ المغرب العربى، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م، ج٢ ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن أهم الفرق الإباضية الأخرى هى النكارية والنفاثية والحسينية أو العمرية والسكاكية والفرية، انظر: الشهر ستانى: الملل والنحل، ط القاهرة ١٩٥٦ م، ج١ ص ١٨٣/ الإسفراييني: التبصير في الدين، القاهرة ١٩٥٥م، ص٥٧/ د. عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، ط دار المعارف القاهرة ١٩٩٣ م، ص٩٥-١٠٨.

Lewicki: Melanges Berberes , p.269

وبذلك أصبحت فرقة الخلفية فرقة معارضة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(١).

والدولة الرستمية تنسب إلى عبد الرحمن بن رستم الفارسى من مسلمى الفتح، وقد نجح في تأسيس دولة بإقليم تاهرت في المغرب الأوسط بعد أن بايعته القبائل لعلمه وفضله، على أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين.

وقد جمعت الدولة الرستمية بين المغربيين الأدنى والأوسط من خليج سرت شرقا إلى وهران غربا، فشملت كل المناطق التي كان

(١) الإمام عبد الوهاب هو الذى تولى خلفا لوالده عبد الرحمن بن رستم، وقد اختلف المؤرخوة في مدة حكمه فالشائع بينهم أنها دامت أربعين سنه، وأن سنة توليته الخلافة سنة١٦٨هـ وأن وفاته كانت سنة ٢٠٨هـ، وقد ذكر المؤرخ ابن عذارى أن مدة حكمه عشرين سنه بدأت سنة ١٦٨ وانتهت سنه ١٨٨هـ، أما المؤرخ البارونى في الأزهار الرياضية فقد ذكر أنه تولى الحكم سنة ١٧١هـ وأن وفاته كانت سنة ١٩٠هـ، انظر: الشماخى: السير ج٢ ص ٢٧٢ – ٣٢٤ / ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ت إحسان عباس بيروت ١٩٦٧ م،ج١ ص ١٩٧.
البارونى: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط القاهرة ١٩٦٧م، ج٢ص ١٥٦ – ١٦٦ / أبو زكريا: سير الأئمة ص ٤٧.

يسكنها الإباضية تقريبا في جبل نفوسة وحيز طرابلس، وقد بدأت الدولة إمامة إسلامية انتخابية ثم تحولت إلى ملكية وراثية (١).

وتمثل حركة خلف بن السمح الانشقاق الثاني في صفوف الإباضية بحسب رأى المؤرخ أبى زكريا بينما يرى المؤرخ ابن الصغير المالكي أن الانشقاق الثانى كان يتمثل في موقف قبيلة هوارة المعادى للإمام عبد الوهاب(٢).

وعند النظر في أمر خلف وأتباعه يظهر له أن خلافهم ليس دينيا بل هو سياسى محض لا يخرجهم عن الإباضية في الاعتقاد شيء، وقد عاصرت حركة خلف بن السمح أخريات عهد الإمام عبد الوهاب و فترة من حكم ابنه أفلح، ثم ظهرت على فترات مختلفة حتى نهاية الدولة الرستمية، وقد شكلت خطرا على أوضاع الدولة،

(١) انظر: د. محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة سلطنة عمان، ١٩٨٣م،ص١٤٩-١٥٦/ عمرو خليفة النامى: دراسات عن الإباضية، ترجمة ميخائيل خورى و د. ماهر جرار ومراجعة د. محمد صالح ناصر دار الغرب الإسلامى ٢٠٠١م، ص ١١٣-١١٤/ د. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة المغرب ط٢ ١٩٨٥ م، ص١٤٤-١٤٥/ على يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٩، ٥٦-٥٧.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن ابن الصغير المالكي لم يذكر أو يتحدث عن حركة خلف بن السمح لأن مجال هذا الانشقاق كان منطقة طرابلس وجبل نفوسة وإنما انفرد هو بأحداث العاصمة تاهرت، وقد خصص كل من أبى زكريا والدرجينى والشماخى مساحات في رواياتهم عن أحوال جبل نفوسة وحيز طرابلس.

إذ نجح خلف في بسط نفوذه على منطقة طـــرابلس وجبـــل نفوســـة واتخذت لها طابعا دينيا(١).

وبعد أن علم أتباع خلف والذين عرفوا بالخلفية نسبة له، بولايـــة أيوب، تملكهم اليأس، وأفاق خلف، فالتزم بالســـكون والطاعـــة لمـــا يعرفه من مكانة أيوب من الناحيتين العلمية والعسكرية.

وقد نجح أيوب بن عباس في ضبط الأمور بحيز طرابلس وجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم

وتذكر بعض الرويات التاريخية أنه حارب خلفـــا بـــن الســـمح عندما سولت له نفسه أن يتمرد مرة أخرى، وبذلك يكون أيوب قـــد نجح في إخماد فتنة الخلفية لفترة وجيزة، ولكن ما لبـــث أن تـــوفي أيوب بن عباس، فأسند الإمام عبد الوهاب ولاية المنطقة إلـــى أبـــى عبيدة عبد الحميد الجناونى(٢).

وبعد وفاة أيوب بن عباس، أرسل أهل طرابلس إلـــى الإمـــام عبد الوهاب أن يولى عليهم أحدا، فأجـــابهم أن يختـــاروا أفضـــلهم

---

(١) د. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإ سلامى، دار العودة – بيروت، ١٩٧٦م، ص ١٢١.

(٢) هو أبو عبيـــدة عبد الحمـــيد الجناونى: أحد علماء نفوسة الموصوفين بألاق نفيســـه مال إلى ما طبـــع عليه من الـــورع واطراح الحرص والدنيا وترك الطمع، وكان غاية في إنفاذ الأمور وإمضائها، وقائم بالمدافعة لأحـــوال البغاة ودفاعها، ووافيـــا بما أمر من إصلاح النفس والدين والدنيا وتحصينها، فلما ولى " أحسن السيرة، انظر: الشماخى: السير ج ٢ ص ٣١٠.

وأولاهم بأمور المسلمين، فكتبوا إليه أنه ليس مثل أبى عبيدة لهذا الأمر، وهو عبد الحميد الجناونى، فأرسل الإمام إليهم أن يولوه بأمره، فاجتمعوا إلى أبى عبيدة وأخبروه بما كتب به الإمام وما أمرهم به من توليتهم إياه على أنفسهم، على أن يقضى بينهم بكتاب الله وسنة نبيه وآثار الصالحين (١).

وبعد أن تولى أبو عبيدة الأمور، أحسن السيرة وساس الرعية(٢).

وكان خلف بن السمح ومن معه من الخلفية في ذلك الوقت يستمرون في تمردهم وعصيانهم وازداد ذلك بعد تولية أبى عبيدة، فبدأوا يغيرون على المناطق الداخلية.

ويبدو واضحا أن خلفا بن السمح قد غضب عندما علم بقبول الناس لولاية أبى عبيدة، ولذلك جدد ثورته وقام بشن الغارات على بعض الأطراف التى تحت حكم أبى عبيدة ونشر الذعر في الطريق وقطع السبل ودس اللصوص على أهل الدعوة من رعية أبى عبيدة(٣).

---

(١) الشماخى: السير ج ٢ ص ٣١٣

(٢) نفسه: ج٢ صـ٣١٤.

(٣) الدرجينى: طبقات الدرجينى ج١ ص ٧٢.

البارونى: الأزهار الرياضية ج ٢ ص ١٥٤، ١٥٥.

د. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ج ٢ ص ٣٤٣.

الشماخى: ج٢ ص ٣١٣، ٣١٤.

وظل أبو عبيدة قائما بدوره في حيزة مواصلا للإمام بما يجب من المال[١] ولكن قدر لهذه الحركة – الخلفية – الاستمرار إلى أن وافت المنية الإمام عبد الوهاب سنة ٢١١هـ /٨٢٦ م [٢]، وعند وفاته كانت معظم أجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمح.

ولا شك أن الإمام عبد الوهاب نجح في توطيد دولته واتساعها، رغم أنه واجه عدة ثورات، اتخذ بعضها طابعا مذهبيا كحركة النكار وكالحركة الواصلية واتخذ البعض الآخر طابعاً قبلياً كحركة قبيلة هوارة.

وقد وصفه المؤرخ الشماخى في السير، بقوله "الإمام الباسل، الشجاع، التقى، اللين، الحليم أمير المؤمنين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم "[٣]

وبعد وفاة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بويع ابنه أفلح بالولاية (٢١١-٢٤٠هـ/٨٢٦-٨٥٤م)، وقد اتصف الإمام أفلح بالعديد من الصفات، في مقدمتها الشجاعة، كما عرف شغفه بالعلم ومناظرة العلماء.

---

(١) البارونى: الأزهار الرياضية ج٢ ص١٥٧

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة ص١٢٦، ود. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ج٢ ص٣٣٧.

(٣) الشماخى: السير ج٢ص٢٧٢

وقد أشار المؤرخ البارونى إلى أن الإمام أفلح قد خلف عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة ونصائح ومواعظ وحكما، كما كان أديبا ذا اقتدار على النظم (١).

وقد بدأ أبو عبيدة يستعد للدخول في الحرب مباشرة بعد أن خطب في الناس ورغّبهم في الجهاد وأزال الخوف من نفوسهم، وبخاصة لأن عددهم قليل إذا ما قورن بعدد خلف وأتباعه.

جهود العباس بن أيوب في معركة إجناون سنة٢٢١هـ/٨٣٦م

قام العباس بن أيوب بدور مهم في استقرار الجبهة الشرقية للإباضيين، وذلك عندما وقف بجوار أبي عبيدة أثناء محاربة خلف بن السمح، ففي سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م كانت أعداد المؤيدين لخلف بن السمح قد ازدادت وأصبحت تشكل خطرا علي الإباضيين في الجهات الشرقية من دولتهم، فطلب أبو عبيدة العون من قيادات نفوسة في ذلك الوقت، وكان علي رأسهم العباس بن أيوب، وقد دارت معركة بين الفريقين بالقرب من جادو وتسمي بمعركة "إجناون"، وذلك عشية يوم الخميس، الثالث عشر من رجب سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م وأبلى كل من الفريقين في المعركة، ولكن رغم قلة عدد جنود أبى عبيدة،

(١) البارونى: الأزهار ج٢ص١٦٦، وانظر أيضاً: رابح بونار: المغرب العربى، تاريخه وثقافته ص١١١، ١٣٧ – ١٤٥ ط الشركة الوطنية للنشر بالجزائر (د. ت).

إلا أن أبا عبيدة نجح في أن ينتصر على خلف بن السمح ويقتل العديد من أنصاره، وذلك يرجع إلى قوة إيمان أصحاب أبى عبيدة ورغبتهم في الجهاد بحق وعزمهم على النصر.

وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة منكرة لخلف وعسكره، وأظهر فيها أصحاب أبى عبيدة بطولات مجيدة، وفي ذلك يقول المؤرخ الشماخى في السير: " فلما التحم القتال، نظر أبو عبيدة إلى العباس بن أيوب يضرب في أعراض الخيل، ويكشفها يمينا وشمالا وقد حمى الميمنة والقلب والميسرة، فقال – أى أبى عبيدة – صار في عينى كالعقاب، معصما لا أكلته النار "(١).

وهكذا قام العباس بدور مهم في تلك المعركة، مما كان له أثره في الانتصار علي الحركات المناهضة للإباضيين في تلك المناطق.

ثم توفي أبو عبيدة بعد ذلك، فوصفه المؤرخون بأنه كان شديد الشكيمة "قوى العريكة" لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان شديدا في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٢).

---

(١) السابق ج٢ ص٣٢٠، وانظر أيضاً: الدرجينى، طبقات الإباضية ج ١ ص ٧٦.

(٢) انظر: أبو زكريا: سير الأئمة ص ١٢٥

الدرجينى: طبقات الدرجينى ج ١ ص ٧١.

الشماخى: السير ج ٢ ص ٣١٣.

البارونى: الأزهار الرياضية ج٢ ص ١٦٦.

ولاية العباس بن أيوب علي طرابلس

بعد وفاة أبى عبيدة عبد الحميد الجناونى، قام الإمام أفلح بن عبد الوهاب بتولية العباس بن أيوب على جبل نفوسة وما حوله من البلاد،

دور العباس بن أيوب في مقاومة خلف بن السمح

بعد وفاة أبى عبيدة، كان خلف بن السمح قد بدأ يستعيد نشاطه مرة أخرى ونجح في أن يضم جماعة من أصحابه الذين كانوا قد تفرقوا بعد هزيمتهم في موقعة إجناون سنة٢٢١هـ/٨٣٦م، وذلك في الفترة ما بين وفاة أبى عبيدة وتولية العباس.

وهكذا قامت صحوة أخرى لخلف وأتباعه، جددوا فيها الإغارات وأعمال السلب والنهب وتهديد أمن البلاد، وكان خلف يدرك تماما مدى قوة وبأس وبطش العباس بن أيوب، إلا أنه اغتر بقوته وكثرة عدده، وقد بدأ معه العباس سياسة اللين والحوار والنصح والإرشاد، فلم يتوقف خلف عن تمرده.

وقد أدرك العباس بن أيوب أن سياسة اللين لن تفلح مع خلف، فاضطر إلى الدخول معه في حرب، ورغم كثرة جنود وأتباع خلف وقلة عسكر العباس إلا أن العباس اختار في جيشه جماعة من الأبطال والفرسان المشهود لهم بالقوة والمغامرة في الحروب، وذلك ليعوض كثرة عسكر خلف.

وكان في مقدمة هؤلاء الأبطال، أبو مرداس التبرستى، الذى حارب ضد خلف من قبل مع أبى عبيدة، وأبو الحسن الأبدلانى(١)، وهو مشهود له بالفروسية أيضا، ويؤكد ذلك ما ذكرته الروايات التاريخية، فعندما كان خلف بن السمح في كثرة، خاف بعض المسلمين، فأتى أبا مرداس، وأخبره، فقال أبو مرداس، لا أخاف

(١) أبو مرداس التبرستي: هو أبو مرداس مهاصر السدراتى، الساكن بتبرست ولذلك يقال له أحيانا: أبو مرداس التبرستى، بلغ في العلوم النهاية، وجرى في أمر الصلاح الغاية، كان ينفق ماله على الضعفاء، وكان له مسجد في كهف يتعبد فيه، انظر: الشماخى: السير ج ٢ ص ٣٠٢، ٣٠٣.

– وأبو الحسن الأبدلانى: كان واسطة العقد وإنسان العين، تعلم العلوم وعمل بموجبها وتحصن من الشيطان بزهد الدنيا ورفضها، وهو أحد الأربعة الذين تكلفوا بما طلبه الإمام وهو أحد الاثنى عشر المشهورين بإجابة الدعاء في عصر واحد بجبل نفوسة، انظر: الشماخى في السير ج٢ ص ٣٠١، ٣٠٢.

* ومن الجدير بالذكر أن كل من أبى مرداس وأبى الحسن الأبدلانى كانت مواقفهما تشهد لهما بصدق النية وصفو القلوب، ولكل منهما فضائل عالية ومفاخر ومناقب ذكرها المؤرخون، انظر البارونى: ج٢ ص ١٧٥ / الشماخى: ج ٢ ص ٣٠٢ / الدرجينى: طبقات الإباضية ج ٢ص ٢٩٢، ٢٩٤.

على عسكر فيه أبو الحسن الأبدلانى، ثم أتى أبا الحسن فقال له أبو الحسن: لا أخاف على عسكر فيه أبو مرداس [١].

وقد بدأت المعركة بين العباس بن أيوب وخلف بن السمح عند موضع يسمى " فاغيس " وهو يقع بالقرب من تيمتى [٢]، وبدأ الجيشان يتصارعان، فلما حمى الوطيس واشتد القتال، قال أبو مرداس: أطمع لمن مات هنا الجنة إلا من قتل نفسا أو كان على فراش حرام أو غصب مالا"[٣].

ويبدو أن هذه الحرب أخذت وقتا طويلا وجهدا كبيراً من الفريقين ويتضح ذلك عندما طلب أبو مرداس من العباس بن أيوب الاستغفار والتوبة حين اشتد خلف وعساكره على العباس حيث قال

(١) البارونى: الأزهار الرياضية ج٢ ص ١٧٥

(٢) تيمتى: جاء في المصادر الإباضية أنها قرية في الجهة الشرقية من جبل نفوسة قرب جادو والتسمية الحالية لها هى تيمتلت، وقد ظلت تيمتى مركزا لإباضية جهة طرابلس زمن السمح بن عبد الأعلى، ثم للخلفية زمن خلف بن السمح، وذكرت آر مرة على عهد أبى منصور إلياس في النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، انظر: الدرجينى: طبقات الإباضية ج ١ ص ٧٢ والشماخى: السير ج ٣ ص ٨٤٦.

(٣) الشماخى: السير ج٢ ص٣٣١.

له: " تب إلى الله، فإن الباطل لا يقف للحق أكثر من هذا، فقال العباس: "تبت إلى الله"(١).

وبعد ذلك نزل العباس بنفسه للقتال، فتغير الموقف واشتد جيش العباس على خلف وأتباعه فاضطربت جنود خلف، ونجح العباس في هزيمة الخلفية بعد صراع طويل وحرب شرسة، وبعد أن انتهت الحرب كان رأى أبى مرداس ألا يتبعوا خلفا وأصحابه، ولكن البعض الآخر كان رأيهم أن يتبعوا الخلفية، ويطلبوهم إلى أن يخرجوهم من حيزهم، فاقتفوا أثرهم حتى تجاوزوا حيز أطراف نفوسة (لالت)(٢).

وفي ذلك يقول المؤرخ البارونى في الأزهار الرياضية: " قال أبو مرداس للناس: ارجعوا عن طلبهم، فقال له رجل: أين لالت؟ يعنى طرف نفوسة، لأنهم في الحيز بعد، فقال أبو مرداس: نسيت لالت، فأتبعوهم حتى خرجوا حيز لالت "(٣).

---

(١) المصدر نفسه: نفس الجزء والصفحة.

(٢) لالت: هو الوادى الفاصل بين (الزنتان) من جهة (تغرمين)و(الرجبان)من جهة (فساطو) والذى سمى فيما بعد بوادى الآخرة لصعوبته وعمقه، ويلاحظ في ذلك أن قرية (تغرمين) لم تدخل في الطاعة وتحرز شهرتها في دولة بنى رستم إلا بعد تلك الواقعة وهى حاليا نالوت، وتقع غرب جبل نفوسة، انظر: البارونى: الأزهار ج٢ ص١٧٧.

(٣) البارونى: الأزهار الرياضية ج ٢ ص ١٧٦.

ويمكن القول إنه يفضل جهود كل من أبى مرداس وأبى الحسن الأبدلانى، استطاع العباس أن يسيطر على الموقف وينتصر على خلف، ولذلك عندما رجع العباس وجنوده من حرب خلف، أقبل الناس ليقدمون له التهنئة، فقال لهم: هنئوا أبا مرداس وأبا الحسن اللذين لم يناما ليلهما، يدعوان ربهما ويرغبانه " (١).

وبعد هذا الانتصار، لم ينس العباس أن يعزى الشيوخ في أقاربهم الذين ماتوا مع خلف، وفي ذلك يقول صاحب السير " فلما رجع العباس إلى معسكره، ترجل وأقبل يعزى الشيوخ في أقاربهم الذين ماتوا مع خلف، وقال: آجركم الله في مصابكم في إخوانكم، فقالوا: يا عباس: ليسوا بإخواننا، ولكنهم أرحامنا، وإنما إخواننا، أنتم " (٢).

ومن خلال النص السابق تتضح مكانة العباس بن أيوب في قومه، وأنه ينال تقديرهم واحترامهم، ويتضح أيضا أن هذا الرجل كان يجمع بين اللين والشدة، ولا شك أن نزوله بنفسه للقتال في المعركة مع خلف كان أحد الأسباب الرئيسية لانتصارهم على الخلفية، وعندما قالت زوجة أبى مرداس لزوجها: رزقك الله الجنة، قال لها: إنما يستاهل الجنة توفيق بن أيوب – يعنى العباس – الذى

(١) الشماخى: السير ج٢ ص٣٣١.

(٢) المصدر نفسه: نفس الجزء والصفحة.

لم يخلع الدرع من عنقه من يوم إلى يوم، فوجد صدأ الحديد في فيه وبه أصبنا " (١)

والحقيقة أن العباس لم يكتف بانتصاره على الخلفية فقط، ولكنه استمر في مطاردتهم، كما أنه نجح في استمالة أصحاب خلف بن السمح نظرا لاستقامته وعدله، وكان لانتصاره على خلف دور كبير في استقرار البلاد وانتشار الأمن، فقد خافه المفسدون والمتمردون، ومن ناحية أخرى بدأت شوكة خلف تضعف وبدأ أنصاره يتفرقون، وبدأ جمعه يتشتت مرة أخرى.

وبعد صراع طويل مع الأئمة الرستميين وولاتهم في الجبهة الشرقية من الدولة الرستمية توفي زعيم الخلفية خلف بن السمح، ذلك الرجل الذى أنهكته حروبه وعصيانه من أجل وصوله للإمامة واستقلاله بجبل نفوسة وحيز طرابلس.

وقد واصل العباس جهاده ضد الخارجين عن الطاعة في جهات الجبل الشرقية(٢) حتى أطاعوا الإمام أفلح واعترفوا بإمامته.

---

(١) الشماخى: ج٢ ص٣٣١.

(٢) المقصود بذلك جبل شماخ وجبل يفرن

دور العباس في مقاومة حركة نفاث

لم يسلم جبل نفوسة من الفتن بعد القضاء على حركة خلف وأصحابه[١] إذ ظهرت فتنة مذهبية سياسية سميت بالنفاثية نسبة إلى نفاث. وهو اسم الشهرة الذي عرف به قائد الحركة. فرج بن نصر النفوسي[٢] وينتسب أيضا إلى (نفاثة) إحدى قرى جبل نفوسة[٣].

---

(١)علي يحيي معمر: المرجع السابق: ج٢، ق١، ١١١.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص١٣٩/ الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٢١.

* والنفاثية: فرقة من فرق الإباضية، أفرزتها العوامل السياسية والمتغيرات التى كان يتعرض لها الإباضيون، وتنسب إلى فرج بن نصر النفوسى المعروف بالنفاث وهو من القرى القريبة من جبل نفوسة، وقد لقيت هذه الفرقة استجابة كبيرة من جانب الإباضيين في نفوسة، وذلك لمناهضة الدولة الرستمية، ولكن المصادر الإباضية تعتبر هذه الفرقة مارقة وخارجة عن الإمامة الإباضية وذلك لأسباب سياسية وعقدية عندهم، انظر: أبو الربيع سليمان البارونى: مختصر تاريخ الإباضية ص ٣٧، ٣٨، وعلى يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٦٥، ود. صابر طعيمة: الإباضية عقيدة ومذهبا، دار الجيل، بيروت ١٤٠٥هـ، ص٥٥- ٥٧.

(٣) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٢٥٢، وانظر أيضا: علي يحيي معمر: الإباضية بين الفرق، ج٢، ص٢١.

وأغلب الظن أن اسم نفاث مشتق من الفعل نفث ينفث. والمقصود به هو نفث سموم الخلاف والفرقة[١].

أما عن سبب خروج نفاث على الإمامة بتاهرت هو استعمال الإمام أفلح لسعد بن أبي يونس النفوسي[٢] واليا على قنطرارة[٣]

---

(١) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٤٨.

(٢) سعد بن يونس وسيم بن يونس النفوسي: أحد رجال وعلماء جبل نفوسة خرج مع واله أبا يونس من جبل نفوسة إلى قنطرارة بسبب احتطاب إماءه من زروع الناس. مما جعل أماكن الاحتطاب تتهدم عند سقوط المطر. فترك دنياه باحثا عن دينه فولاه الإمام أفلح إياها ثم سعد من بعده، انظر أبو زكريا: المصدر السابق، ص١٣٨، الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٧٧.

(٣) قنطرارة: تقع تحت سفح جبل نفوسة على مسافة نحو ١٥ ميلا تقريبا شمال كباو إحدى مدن جبل نفوسة وتسمى قنطرارة حاليا "بتيجي" وكانت مدينة متوسطة الرقعة تحيط بها جنات وحدائق وبساتين. وكانت تنتج أجود أنواع الغلال والفواكه والتمور. خربه إبراهيم بن الأغلب عقب واقعة مانو التي سيأتي ذكرها. مما جعل من نجا من علمائها يتجه إلى تمصمص إحدى قرى جبل نفوسة التي تقع جنوب طمزين الكائنة بالجانب الغربي من جبل نفوسة، انظر: الباروني: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٣ و انظر أيضا: علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٠- ١٨٩، ليفيتيسكي: تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص٨١.

بعد وفاة أبيه[١]

فغضب نفاث[٢] وأخذ يطعن في الإمام قائلا: "إنه يلبس الطرطور، ويخرج إلى الصيد، ويصلي بالأشبر ويزيد في الخلقة" وكان يعني من ذلك أنه كبير العمامة والوجه، طويل اللحية جدا[٣].

وعندما تفاقم أمر نفاث، وخالف الشرع بما ارتكبه من بدع. اتسعت هوة الخلاف المذهبي بين نفاث وأعوانه في جبل نفوسة، وبين أصحاب الإمام أفلح [٤].

وقد أرسل الإمام أفلح رسالة إلى نفاث نفسه يحذره فيها من بدعه. داعيا إياه العودة إلى صوابه وتركها[٥] وما إن قرأ نفاث الرسالة إلا وأدرك أن مرحلة السلام واللين قد ولت، ولم يبق إلا

(١) الشماخي: السير، ج١، ص١٨٤، انظر أيضا: ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية. ترجمة: أحمد بومزقو. منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، كليفورنيا، الولايات المتحدة. ٢٠٠٤م، ج١، ص٦٣.

(٢) الباروني: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٣، انظر أيضا:علي يحيي معمر: الإباضية بين الفرق، ج٢، ص٢٢.

(٣) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٧٨، النفوسي: نفس المصدر، ج٢، ص٢٥٤.

(٤) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٢٥٨- ٢٦٠.

(٥) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٦١- ٢٦٢.

الشدة والعنف[١] فجمع ماله متوجها به إلى المشرق، حيث استقر عند صديق له في بغداد مدة من الزمن (لم تحددها المصادر على حد علمنا)[٢] إلا أنه سرعان ما عاود الحنين إلى موطنه في جبل نفوسة، فعاد نفاث حيث وجد الأمور هادئة ومستقرة على عكس ما تركها[٣] فقد قل أنصاره وضعفوا بعد رحيله إلى المشرق[٤] في حين كان سعد والي قنطرارة ناجحا في إدارة ولايته، فأحسن السيرة بين رعيته[٥] الأمر الذي جعل نفاث يركن إلى الهدوء والسكينة إلى أن وافته المنية[٦].

وقد ذكر الدكتور سعد زغلول أن النفاثية مثل النكارية والخلفية، ظلت من الفرق المنشقة على المجتمع الإباضي إلى ما بعد نهاية إمامة تاهرت الرستمية[٧].

---

(١) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٦٣، وانظر أيضا: د. محمد عيسي الحريري: مقدمات البناء السياسي، ج١، ص١٤٧.

(٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٧٧، الشماخي، السير، ج١، ص١٨٤.

(٣) علي يحيي معمر: الإباضية بين الفرق، ج٢، ص٢٣.

(٤) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٨٢.

(٥)علي يحيي معمر: المرجع السابق، ج٢، ص٢٣.

(٦) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٨٢.

(٧) د.سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٥٣.

نجاح العباس في استقرار الجبهة الشرقية للإباضيين

بعد العرض السابق لجهود العباس بن أيوب في مقاومة الحركات المناهضة للإباضيين في المغرب الأدني ، يلاحظ أن العباس بن أيوب نجح في إعادة الأمن إلى الجبهة الشرقية من الدولة الرستمية بعد مجاهدته للأعداء، والتى تكررت أكثر من مرة في عهد الإمام أفلح، وبذلك بدأت البلاد تستقر وتعود إلى طبيعتها، إلى أن توفي العباس، فكانت وفاته إيذانا ببدء حركات تمردية أخرى وانشقاقات بين إباضية تاهرت، كان في مقدمتها، حركة نصر بن فرج النفوسي بجبل نفوسة(١).

ومما لا شك فيه، أن الفتن والثورات التى جعلت البعض يخرج عن طاعة الإمام في جبل نفوسة، تدل على حيوية تلك الجهات، وذلك القسم من الدولة الرستمية في جبل نفوسة وحيز طرابلس، وكان مصدر حيويتها أنها كانت عامرة مليئة بالناس ومنهم المتقدمون في العلم وأهل الشجاعة والحرب.

ومن الجدير بالذكر أنه رغم انتصار العباس على الخلفية، إلا أن أتباع خلف ظلوا موجودين في جبل نفوسة وحيز طرابلس وكانوا يظهرون كلما سنحت لهم الفرصة.

---

(١) المرجع نفسه:ج ٢ ص ٣٤٧

Lewicki: Melanges Berberes, ibadites , P.270.

وبعد وفاة العباس بن أيوب تولي أبو منصور إلياس ولاية جبل نفوسة، وفي سنة٢٨١هـ /٨٩٤ م توفي الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح، فتولى مقاليد الأمور من بعده، ابنه أبو حاتم يوسف (٢٨١-٢٩٤هـ /٨٩٤-٩٠٧م)،

وقد وصفه المؤرخ الشماخى بقوله: " ومنهم – أى الإباضية- أبو حاتم يوسف، الإمام الماهر والبحر الذاخر، والعالم الذاكر، مكث في الخلافة أربع عشرة سنة"(١).

وعندما علم أبو منصور إلياس بتحركات أتباع خلف، خرج لمطاردتهم خشية أن تزداد ثورتهم ويكثر عددهم ويزداد أتباعهم، وبذلك أراد القضاء على تمردهم والقبض على زعيمهم قبل أن يستفحل أمرهم وكان الطيب بن خلف قد لجأ إلي قبائل خارج طرابلس في ساحل جزيرة جربة، وقد التف حوله الزواغيون وحصنوه ومنعوه من النفوسيين، إذ كانوا شيعة أبيه وعلى مذهبه(٢).

(١) الشماخى: السير ج٢ص٤١٦

(٢) المصدر نفسه:ج٢ ص ٣٦٤.

– ومن الجدير بالذكر أن أنصار الخلفية، من نفوسة وزواغة، ظلوا موالين للطيب بن خلف حتى أواخر حكم بنى رستم.

وفي ذلك يقول صاحب السير: " وخرج مرة – أى أبى منصور إلياس – في طلب ولد خلف[١] – أى الطيب بن خلف – وقد هرب إلى زواغة، وكان على مذهب أبيه[٢].

وبذلك يمكن القول إن الطيب بن خلف أصبح زعيما على الزواغيين فأصبحوا يدافعون عنه ويحاربون من ضده ، فلما بلغهم ناصبوه الحرب فهزموا[٣] وقتل عددا كثيرا منهم، فاضطر الطيب بن خلف أن يلجأ إلى جزيرة جربة ويتحصن ببعض قصورها، ولكن أبا منصور إلياس نجح في القبض عليه وسجنه

(١) ولد خلف: لم تذكر الروايات التاريخية اسمه، وإنما تكتفي بالقول إن والى جبل نفوسة خرج على أيام أبى حاتم يوسف لطلب ولد خلف فهرب لاجئا إلى قبائل زواغة، انظر: د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى ج ٢ ص ٣٨٤.

(٢) الشماخى: السير ج٢ ص ٣٦٤

(٣) ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ أبا زكريا ذكر هذه الحرب في آخر ولاية الرستميين وكذلك المؤرخ الدرجينى في طبقاته، ولا شك أنها وقعت قبل موت أبى اليقظان سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م وأبى منصور إلياس الذى توفي قبل سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م.

انظر: أبو زكريا: سير الأئمة ص ١٤٧ / الدرجينى: طبقات مشائخ الإباضية، ج١ ص٨٤، ٨٥.

وقد أشارت المصادر التاريخية أن حفيد خلف هذا قد تاب وحسنت أحواله، حيث يقول أبو زكريا: " وذكر بعض أصحابنا أنه رجع إلى مذهب أهل الحق وحسنت أحواله، والله أعلم " [١] وقال الدرجينى أيضا: " إن الفتى تاب ورجع إلى مذهب أهل الحق وحسنت حاله " [٢].

ولا شك هذا انتصار لخصومه من الرستميين، فقد كانت غاية آمالهم أن تستقر الأمور في هذه المنطقة المضطربة البعيدة عن الدولة ،

وبذلك نجح أبو منصور إلياس في القضاء على بقايا الخلفية بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك تهدد أمن الرستميين

وقد حفلت تواريخ الإباضية بذكر انتصارات إلياس بن منصور على الطيب وأنصاره من الخلفية الذين ولوا الأدبار لائذين بجزيرة جربة وقابس[٣] وبعد وفاة أبى منصور إلياس تولي أفلح بن العباس.

ولاية أفلح بن العباس علي جبل نفوسة

هو أفلح بن العباس بن أيوب (٢٥٠-٣٠٠هـ/٨٥٤- ٩١٢م) شيخ من مشايخ جبل نفوسة من أسرة أيوب بن العباس، تلقي علمه

(١) أبو زكريا: سير الأئمة ص ٣٣.

(٢) الدرجينى: مصدر سابق، ج ١ ص٨٧.

(٣) قابس: مدينة تقع على ساحل البحر الرومى، وتنصب إليها أنهار من بعض الجبال التى تليها، فهى بذلك أخصب بلاد إفريقية وأوسعها فواكه وأعنابا، انظر: المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت(د. ت)، ص ٢٥٠.

علي علماء الجبل، كان معروفا في تيهرت الرستمية، محبوبا لـــدي الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح ت سنة ٢٨١هـــ/٨٩٤م، محظوظا عنده بسبب عدله وعلمه وورعه كما يذكر ابن الصغير(١)

الصراع بين أفلح بن العباس والقوات الأغلبية في موقعة مانو(٢)

إذا كان أبو منصور إلياس النفوسي قد نجح فـــي صـــد الهجـــوم الطولوني على شرق الدولة الرستمية فـــي عهـــد أبـــي اليقظـــان، ومحافظته على هدوء هذه الجهات في عهد أبي حاتم(٣) فإن أفلح بن

(١) ابن الصغير المالكى: أخبار الأئمة الرستميين ص٢٩٨،٢٩٧ دراسة وعرض د . حسن على حسن، القاهرة ١٩٨٤ م، ص ٨٦-٨٧، وعن أفلح بن العباس، انظر: أبو زكريا: السيرة، ص ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤/ الباروني: الأزهار الرياضية: ص ٢٤٥-٢٤٦/ الشماخي: السير٢٢٣-٢٢٨/ الدرجيني: طبقات الإباضية ص٨٧-٨٨/ علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ ص٢٩-٣١

(٢) مانو: من قصور الأولين على ساحل البحر يقع غربي زوارة. وشرق قابس، انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم. ص١٥٦/محمد علي دبوز: المغرب الكبير، ط القاهرة ١٩٦٣م،ج٣ ص٥٩٤.

(٣) الشماخي: السير، ج١، ص١٩١/ د. محمد عيسي الحريري: مقدمات البناء السياسي. ص١٨٠.

– ومن الجدير بالذكر أن أبا منصور إلياس كان واليا على جبل نفوسة في عهد كل من (أفلح بن عبد الوهاب وأبى اليقظان ثم أبى حاتم يوسف) وهو يعد من أشهر الشخصيات النفوسية في تاريخ إمامة تاهرت الرستمية على وجه العموم.

العباس لم يكن على نفس القدر من المهارة في قيادة الحروب وتوجيه الأمور[١] فقد مني بهزيمة فادحة على أيدي القوات الأغلبية بقيادة إبراهيم بن أحمد في موقعة مانو سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م[٢] وقد تباينت الآراء حول دوافع هذه المعركة فمنهم من أرجع ذلك إلى الوضع السياسي والعسكري الذي عرف عن إباضية جبل نفوسة كان لدى العباسيين آنذاك، ومن هنا فإن القضاء على إباضية جبل نفوسة يعد بمثابة نهاية للدولة الرستمية.

وهذا الرأي هو ما تراه معظم المصادر الإباضية[٣] مع ذكرهم أن موقعة مانو كانت في عهد الخليفة المتوكل العباسي، وأنه هوالذي شجع الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد للوقوف ضد إباضية جبل نفوسة، وهو ما لا يتبين صوابه لأن الخليفة المتوكل توفي سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ، في حين أن موقعة مانو كانت سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م.[٤]

---

(١) الباروني: المصدر السابق: ص٣٤٤.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٢٩.

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص١٥٥/ الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٨٧/ الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٤٢- ٣٤٣.

(٤) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٨٨.

وبذلك يكون الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠١م)، المعاصر للموقعة، هو الذي شجع الأمير الأغلبي وليس المتوكل[١].

ومن الممكن أيضا أن يكون أحد أسباب موقعة مانو يرجع إلي خروج ابن الأغلب بجيشه من تونس إلى مصر لمحاربة ابن طولون، فاعترضته إباضية جبل نفوسة ومنعته من المرور بأراضيها مما أسفر عن وقوع المعركة[٢].

ومن خلال العرض السابق يمكن القول إن السبب الحقيقي والمباشر لموقعة مانو كان بإيعاز من الخليفة العباسي المعتضد بالله آنذاك إلى واليه على إفريقية إبراهيم بن الأغلب بالقضاء على الدولة الرستمية بضربها في عصب قوتها، في حين كانت بدايتها منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، وامتد نفوذها إلى بلاد المغرب، وذلك بمقتل إسماعيل بن زياد النفوسي على يد الوالي العباسي على القيروان عبد الرحمن بن حبيب[٣] مرورا بمقتل أبي

(١) المصدر نفسه: ج٢، ص٣٤٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق د. حسين نصار، ود. عبد العزيز الأهواني، سنة ١٩٨٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة،ج٢٤، ص١٣٣

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ط ليدن ١٩٢٠ م، ج١، ص٣٠٢.

الخطاب المعافري سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م على يد محمد بن الأشعث القائد العباسي لأبي جعفر المنصور(١) والقضاء على ثورة أبي حاتم الملزوزي بقتله سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م على يد القائد العباسي يزيد بن حاتم(٢) هذا فضلا عن حصار الإمام عبد الوهاب بن رستم لطرابلس سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م مع إباضية جبل نفوسة أثناء تواجده بالجبل ، عندما استغاثت به هوارة لتعدي الأغالبة على أراضيها، فأرغم الأغالبة على إبرام الصلح بينهما(٣).

ومن المنطقي تصور أن إبراهيم بن الأغلب كان يخشي على إمارته من الوقوع تحت نفوذ الدولة الرستمية نتيجة لقرب الحدود بينهما، وكثرة النزاع عليها، وهذا ما أدي إلي تزايد هذا الخوف بعد سوء ظنه، وغيرته الشديدة التي أوغرت صدره على أبي منصور إلياس بانتصاره على العباس بن طولون سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م عقب استغاثة أهل طرابلس به وهي تابعة للأغالبة، وذلك في حين هزم

(١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم. ص٦٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ــ لبنان مراجعة د. محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ج٥ ص٦٠١/ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٧٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المكتبة التوفيقية القاهرة، جـ٥ ص٦٠١/ الشماخي: السير، ج١، ص١٤١/ محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج٣، ص٥١٢.

عامله على طرابلس ابن قرهب من قبل العباس بن طولون سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م بلبدة وانسحابه إلى طرابلس(١) مما جعل إبراهيم بن الأغلب يظن أنهم أنسوا في أنفسهم قوة تجعلهم يفكرون في محاربته، ففكر في أن ينتقم منهم بالإغارة على جبلهم، قبل أن ينقلبوا عليه، فتصنع أمر الخروج لمحاربة بن طولون وأنه لابد من عبور أراضيهم، هو ما اتصفت به شخصية إبراهيم بن الأغلب من مكر وخداع وحبه لسفك الدماء(٢).

وبذلك توافقت إرادة العباسيين مع الأغالبة في القضاء على إباضية جبل نفوسة. "(٣).

ويبدو أن ما فعله إبراهيم بن الأغلب عقب انتصاره على إباضية جبل نفوسة وتوجهه إلى طرابلس ثم تاورغا والرجوع بعد ذلك إلى

---

(١) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، نشر مكتبة الثقافة الدينية ص٢٥٤- ٢٥٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٢٩- ١٣١، انظر أيضا: محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي " ١٨٤ ــ ٢٩٦هـ / ٨٠٠ ــ ٩٠٩م، تعريب: المنجى الصيادي، مراجعة: حمادى الساحلي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.ص ٣٢٣- ٣٤٠، معمر: المرجع السابق، ج٢، ق١، ص١٣٤.

(٣) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣١٧.

تونس دون حدوث أي وقائع[١] كان الهدف من ورائه تأمين حدود بلاده الشرقية دون قتال ، خاصة لقربها من جبل نفوسة بعد نهاية المعركة معهم[٢].

وعموما مهما كانت أسباب معركة مانو، فإن الإباضية بجبل نفوسة عندما علموا برغبة إبراهيم بن الأغلب في عبور أراضيهم، ولو من خلال ممر ضيق على ساحل البحر، مقابل عدم التعرض لهم، وإلا ناصبهم القتال[٣] اجتمع أهل العلم من شيوخ الجبل، أمثال أبي معبد الجناوني، أفلح بن العباس والي الجبل، وسعد بن أبي يونس والي قنطرارة، وكان رأيهم أن يجيبوا الأغالبة إلى مطلبهم[٤] غير أن عامة أهل جبل نفوسة عارضوا ذلك، مما أثار حمية أفلح بن العباس لقتاله. [٥].

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٣٤.

(٢) هو أبو عبدالله محمد سحنون، أحد علماء القيروان وفقهائها الكبار، انظر: الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تصحيح: السيد عزت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٧٨- ١٨٢.

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم. ص١٥٥.

Gautier (E. F) Le Passe De L, Afrique Du Nord, Paris, 1942, P. 321.

(٤) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٤٢.

(٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٨٨.

واشتبك الفريقان في مانو وحمي وطيس القتال حتى وصفته المصادر الإباضية أنه لم يسبق له مثيل في أرض المغرب ورغم ما أبداه كلا الفريقان من براعة في القتال إلا أنهم أصيبوا بأضرار بالغة، خاصة إباضية جبل نفوسة الذين أوشكوا على الهلاك(١)

وقد رأي بعض أهل البصائر ما حل برجال الجبل، فضرب الراية بسيفه إلى أن سقطت على الأرض، لأن في بقائها انتحارا جماعيا للجيش، وهو ما جعل الجنود يفروا هاربين إلى الجبل بعد أن نال منهم الأغالبة(٢)

كما كان من بين القتلى أربعمائة من فقهاء الإباضية(٣) وما إن عاد الناجون من إباضية جبل نفوسه بعد موقعة مانو إلى الجبل، إلا وتحصنوا فيه وتشاوروا في عزل أفلح بن العباس عن ولاية جبل نفوسة واعتبروه مسؤولا عن هذه الكارثة بفراره من أرض المعركة(٤). وأرسلوا إلى الإمام ليصدر سجل الولاية لابن عم أفلح الذي لم تسمه المصادر على حد علمنا.

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم. ص١٥٦/ الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٨٨.

(٢) أبو زكريا: مصدر سابق ص١٥٧.

(٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٨٩.

(٤) المصدر نفسه:ج١، ص٩٠.

ورغم اتفاق أهل الرأي والجماعة على ذلك ، فإن الشيخ أبا معروف أحد علماء الجبل أبى ذلك خشية وقوع الاختلاف بينهم. حيث لم يستسلم أفلح إلى قرارهم، بل استنكره وأراد مخالفتهم والخروج عليهم(١) ومع ذلك فلقد استطاع الشيخ أبو معروف إقناع أفلح بالخضوع لرغبة المشائخ ما دامت هذه الولاية ليست أمرا دنيويا غرضه العلو في الأرض أو جمع الثروة(٢).

ولكن لم يدم الوالي الجديد أكثر من ثلاثة شهور لأنه لم يحسن تدبير الأمور، مما جعل أهل الجبل يلجأون مرة أخرى إلى أفلح بن العباس ليولوه عليهم(٣).

وجدير بالذكر أن الهزيمة التي لحقت بإباضية جبل نفوسة في موقعة مانو ، كانت نذيرا بضعف الدولة الرستمية، وهو ما أكده الدرجيني بقوله: "فكان ما أبقته من الضعف هذه الواقعة وما اتصل بها ، سببا لانقراض الدعوة ، لأن نفوسة كانوا عمدتها ، قامت بقيامهم وانقطعت لانقطاعهم، فلما ضعفوا انتهكت الحرمة واستفزت الإمامة(٤).

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم. ص١٥٨.

(٢)علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢، ق١، ص١٣١.

(٣) الدرجيني: طبقات ومشائخ الإباضية، ج١، ص٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٩١.

أهـــم المصـادر والمراجـع

ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد ت سنة ٦٥٨هـ): الحلة السيراء، الشركة الوطنية للطباعة، الجزائر ١٩٦٣م.

الإدريسى: (أبو عبد الله محمد – ٥٥٨ هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما ١٩٧٢م

ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقى، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، ليبيا ١٩٦٩م.

البارونى: (سليمان بن عبد الله النفوسى ١٢٥٩هـ): الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط القاهرة ١٩٦٧م.

د. بدر عبد الرحمن محمد: دولة الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦م.

البكرى: (عبد الله بن عبد العزيز ٤٦٠ هـ):المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ت، د. ى. سلين، الجزائر ١٨٧٧م.

جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، الجزائر، قسم المغرب

الحبيب الجنحانى: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ط الدار التونسية.

د. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م.

د. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، عصر الولاة مطبعة مصر ١٩٤٧ م.

ابن حوقل: (أبو القاسم محمد ت ق ٤ هـ): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م.

ابن الخطيب: (محمد لسان الدين ت ٧٧٦ هـ): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ت. العبادى وآخرون، أحمد مختار العبادى وآخرون ط الدار البيضاء ١٩٦٤م

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط بيروت ١٩٧١م.

الدرجينى: (أبو العباس أحمد الدرجينى ت ق٧ هـ): طبقات الإباضية، ت. إبراهيم طلاي، قسنطينة(د.ت).

رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر (د. ت)

الرقيق القيروانى: (أبو إسحاق إبراهيم ت ق ٥ هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، دار الفرجانى، القاهرة ١٩٩٤ م.

أبو زكريا: (يحيى بن أبى بكر ق ٤ هـ / ١٠ م): سير الأئمة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبى زكريا ت اسماعيل العربى، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٨٩٢م.

د. سعد زغلول عبد الحميد: (تـــاريخ المغـــرب العربـــى، منشـــأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٩م)

السلاوى: (أبوالعباس أحمد١٣١٥هـــ):الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ت.جعفر الناصرى سنة ١٩٥٤م

د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصـــر الإســـلامى، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية سنة ١٩٨٢م.

الشماخى: (أحمد بن أبى عثمان سعيد عبد الواحد ت ٩٢٨ هـــ)، الســـــــير، ط دار المدار الإسلامي.

الشهر ستانى: (محمد بن عبـــد الكـــريم ت ٥٤٨ هـــــ)، الملـــل والنحل، ط القاهرة ١٩٥٦م.

د. صابر طعيمة: الإباضية عقيدة ومـــذهبا، دار الجيـــل، بيـــروت ١٤٠٥هـــ.

صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية تونس ١٩٧٦ م.

ابن الصغير: (ابن الصغير المالكى ٢٨١ هـــــ / ٨٩٥ م):أخبـــار الأئمة الرستميين، ت. د /حسن على، القاهرة ١٩٨٤ م.

د. عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، دار المعـــارف، القاهرة ١٩٩٣م.

ابن عذارى: (ابن عذارى المراكشى)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ت إحسان عباس بيروت ١٩٦٧م.

د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩٠م.

على يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية القاهرة ط ١ ١٩٧٦م.

-الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٧م.

د. عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، سقط١٩٨٢م.

نشأة الحركة الإباضية، عمان سنة ١٩٧٨م.

محمد بن تاويت: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة المعهد المصرى – مدريد، ٥٤٠ سنة ١٩٥٧م.

محمد على دبوز: (تاريخ المغرب الكبير) القاهرة ١٩٦٣م

د. محمد عيسى الحريرى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى ط ٣ دار العلم، الكويت ١٩٨٧م.

د. محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة سلطنة عمان ١٩٨٣م.

د. محمود إسماعيل: الخوارج في بـــلاد المغـــرب الإســـلامى، دار العودة – بيروت ١٩٧٦م.

المراكشى: (عبد الواحد بن علي ت٦٤٧هـــ):المعجب في تلخـــيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

ابن منصور(عبد الوهاب): قبائل المغرب، ط الرباط ١٩٦٨ م.

يـــاقوت الحموى(شـــهاب الـــدين أبوعبـــدالله ت ٦٢٦ هـــــ / ١٢٢٨م):معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى، بيروت ٢٠٠٨م.

Basset , Rene: Les Sanctuaires du Djebel Nefousa. Jurnal Asiatique , Tome 13,14.Paris 1899.

Despois, Jean: Le Djebel Nefusa, Paris ,1935.

Gautier, E,F: Les Siecles Obscurs du Maghrb. Paris , 1937.

Lewicki, t: Etudes ibadites Nord Africaine, Warszaw, 1955.